الباب الثالث

الفصل الأول

تعريف القرآن

القرآن لغة مصدر من قرأ-يقرأ-قراءة-وقرآن بمعنى الجمع والضم، قرأ الشيئ أي جمعه وضم بعضه إلى بعضه[1]. وقد اختلف العلماء في لفظ القرآن، بعضهم يقول إنه مهموز وعلى هذا الرأي الزجاج واللحياني، والآخر يقول إنه ليس بمهموز. يقول الزجاج[2] : إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان،مشتق من القرء بمعنى الجمع. ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، ويقال القرآن بمعنى الجمع لأنه يجمع ثمرات الكتب السابقة. ويقول اللحياني[3] : إنه مصدر مهموز على وزن غفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا . ومما يدل على أنه بمعنى تلا قول تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)[4] وقوله (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)[5] وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري (عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي قال له : أقرأ القرآن في كل شهر، قال إني أطيق أكثر فما زال حتى قال : في ثلاث)[6]

ومن الذين يقولون إن القرآن ليس بمهموز الشافعي والفراء حيث يقول الشافعي : هو اسم عالم غير مشتق من أي شيئ، يختص بكلام الله وهو ليس بمهموز . يقول الفراء[7]:

---

[1] لويس معلوف، *المنجد في اللغة*: 616

[2] إبراهيم بن السرى ويكني أبا الإسحاق المتوفي 311

[3] أبو الحسن علي ابن حازم، اللغوي المتوفي سنة 210

[4] سورة الأعراف الأية : 204

[5] سورة النحل الأية : 98

[6] البخاري، *الجامع الصحيح*، (دارالكتب : بيروت، مجهول السنة) ج 6 ص.313

[7] أحد النحاة في الكوفة واسمه يحي بن زياد الديليمي ويكنى بأبي زكريا المتوفى سنة 207

هو مشتق من القرن. وعلى ما قاله الفراء ذهب الأشعري[8] : هو مشتق من قرن الشيئ إذا ضم أحده إلى الآخر وسمي به إذ ضم فيه السور والآيات والأحرف[9].

وكان العرب في العصر الجاهلي عرفوا لفظ " قرأ " لكنهم استخدمونه على غير معنى التلاوة بل بمعنى الحمل كما قال العرب " الناقة لم تقرأ أي لم تحمل.[10]

أما معنى القرآن اصطلاحا فهو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد لهداية الناس أجمعين.[11] وقال محمد علي الصابوني إن القرآن هو كلام الله المعجز على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس.[12]

أما تعريف القرآن الذي اتفق عليه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية أنه الكلام المعجز المترل على محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته.[13]

بيد أن العلماء اختلفوا في أصل لفظ القرآن واشتقاقه، فكان الخلاصة من تلك التعريفات المذكورة أنه كلام الله المترل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر المكتوب في المصحف لهداية الناس أجمعين من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس. وللقرآن أسماء متعددة منها:

---

[8] أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري إمام مذهب الأشعري في العقيدة المتوفى سنة 334

[9] جلال الدين السيوطي الشافعي، *الإتقان في علوم القرآن*،(دار الكتب الاسلامية: بيروت، مجهول السنة)ص.19

[10] صبحي الصالح ، *مباحث في علوم القرآن*،(بيروت : دار الكتب الإسلامية، مجهول السنة)، ج 1، ص 144

[11] محمد إسماعيل إبراهيم، *القرآن وإعجازه العلم*، (بيروت : دار الفكر العربي، مجهول السنة)ص.2

[12] محمد علي الصابوني ، *التبيان في علوم القرآن*، (جاكرتا: دار الكتب، مجهول السنة)ص.8

[13] صبحي صالح، *مباحث في علوم القرآن* ،ص. 21

- الكتاب لقوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)[14]
- الفرقان لقوله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)[15]
- الذكر لقوله سبحانه وتعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[16]
- التنزيل لقوله تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين)[17]

قال الدكتور محمد عبد الله الرازي: روعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسنة، كما رعى في تسميته كتابا لكونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيئ بالمعنى الواقع عليه.[18] وأما أوصاف القرآن كما وصفه الله تبارك وتعالى بعدة الأوصاف الجليلة منها النور استدلالا على قوله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا)[19] والهدى لقول سبحانه وتعالى (ولوجعلنه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آيته، ءأعجمي وعربي، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لا يؤمنون في الآذانهم وقر وهو عليهم عمى، أولئلك ينادون من مكان بعيد)[20] الشفاء لقرله تعالى (ونترل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)[21] والموعظة لقوله عز وجل (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)[22]

---

[14] سورة الأنبياء : 10

[15] سورة الفرقان : 01

[16] سورة الحجر : 09

[17] سورة الشعاء : 192

[18] مناع القطان، *مباحث في علوم القرآن*، (الرياض : منشورات العصر الحديث، مجهول السنة)ص.22

[19] سورة النساء الأية : 174

[20] سورة الفصلة الأية : 44

[21] سورة الإسراء الأية : 82

[22] سورة يونوس الأية : 57

الفصل الثاني

تاريخ نزوله

تطلق "نزل" في اللغة ويراد بها الحلول في مكان والأوي به كقولهم نزل الأمير المدينة، ومنه قوله تعالى (رب أنزلني منزلا وباركا وأنت خير المنزلين) كما يراد بها أيضا انحدار الشيئ من علو إلى أسفل نحو نزل فلان من جبل[23]. أنزل الله القرآن من اللوح المحفوظ إلى الالسماء الدنيا ومن الالسماء الدنيا إلى الأرض بوسيلة الأمين جبريل عليه السلام لقوله عز وجل (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وعلى هذا اتفق العلماء ولكنهم اختلفوا في كيفية نزوله من اللوح المحفوظ وكان الاختلاف على ثلاثة أقوال :

أحدها أنه نزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر جملة واحدة، ثم بعد ذلك نزل منجما في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة. وعلى هذا القول قال النبي في حديث رواه الحاكم في مستدركه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك بعشرين سنة، ثم قرأ لا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا[24] وقرآنا فرقناه لتقرأه غلى الناس على مكث ونزلنا تنزيلا[25].

---

[23] عدنان محمد زرزور، *علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه*،(دمشق : المكتب الإسلامي، 1981)ص: 69

[24] سورة الفرقان الأية: 33

[25] سورة الإسراء الأية : 1.6

وثانيها أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه إنزاله بكل سنة، ثم يترل بعد ذلك منجما في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وثالثها أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات، والشعبي هو الذي اعتمد على هذا القول[26] وأما القول الأول هو أصح القول وإليه ذهب الأكثرون. والقرآن الكريم نزل في شهر رمضان على الإطلاق لقوله عز من قائل (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان...)[27] وقال أيضا (إنا أنزلناه في ليلة القدر)[28] وليلة القدر هي في شهر رمضان إذ دلت الأحاديث الصحيحة على كون ليلة القدر في شهر رمضان وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتماسها في العشر الأخير منه[29]. أخرج الحافظ أبو بكر البيهقي[30] في كتاب (الأسماء والصفات) من حديث السدي[31] عن محمد بن أبي المجالد[32] عن مقسم [33] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأله عطية بن الأسود[34] فقال : إنه قد وقع في قلبي الشك في قوله الله عز وجل : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقوله سبحانه وتعالى (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وقد أنزل في في شوال وذي القعدة وذي

---

[26] جلال الدين السيوطي الشافعي، *الإتقان في علوم القرآن*،ص:118

[27] سورة البقرة الأية : 185

[28] سورة القدر الأية: 1

[29] روي حديث : التمسوها في العشر الأواخر) بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في الإيمان باب 36 وليلة القدر باب 4

[30] هو أحمد بن حسين بن علي بن عبدالله البيهقي الشافعي الفقيه، ولد سنة 384 هـ وتوفي سنة 458 هـ

[31] اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب السدي من مفسر التابعين،توفي بالكوفة سنة127 هـ

[32] محمد بن أبي المجالد الكوفي، مولى عبد الله بي أبي أوفى

[33] مقسم بن بجرة أبو القاسم توفي سنة 101 هـ

[34] عطية بن الأسود اليمامي ، من أمراء الخوارج،توفي سنة 75 هـ

الحجة ... يعني وغير ذلك من الأشهر، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : إنه أنزل في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام.[35]

القرآن لم يترل على نبينا محد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وإنما نزل منجما كما قال الله تعالى(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك، ورتلنه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئنك بالحق وأحسن تفسيرا)[36] وفي الآتين الكريمتين إشارة إلى كون نزول القرآن مفرقا أي منجما، لأن اليهود حين رأو نزول القرآن مفرقا سألوا : هل أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما كان التورة والإنجيل والزبور؟ فقال تعالى " كذلك " أي أنزلنه مفرقا أو منجما " لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا، ولا يأتونك إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا"[37] وهنا الحكم الكثيرة العظيمة في كون نزول القرآن منجما ومنها:

أحدها : تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم أمام أذي المشركين لقوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لتثبت به فؤادك وتلناه ترتيلا)[38].

وثانيها : التلطف والتمتع للنبي صلى الله عليه وسلم عند نزوله والقرآن كان شيئا عظيم الشأن كما قال الله جل وعلى (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا)[39] ولذلك نزل منجما لتكون بين الإنزالات الفرصة للتلطف للنبي.

---

[35]شهاب الدين عبد الرحمن، *المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز*، (بيروت : دارالكتب العلمية، 2003)ص: 33

[36]سورة الفرقان الأية : 32-33

[37]أحمد بن محمد طاحون، *مع القرآن الكريم*، (المملكة العربية السعودية: رئاسة إدارة البحوث العلمية ولإفتاء والدعوة والإرشاد، 1998)ص:18

[38]سورة الفرقان الأية : 32

ثالثها : تسهيل حفظه على الرسول والمؤمنين، فقد اختار الله تعالى تنزيله على هذا الوجه ليسهل على الناس حفظه، وإذا كان الله قد تكفل لرسوله بحفظه (سنقرئك فلا تنسى) فإن أفراد المسلمين كانوا بحاجة إلى أن يعطوا فرصة تمكنهم من حفظه في الصدور وهو الحفظ.

رابعها : التربية من خلال الوقائع، وربط الأمور بأسبابها ومسبباتها، وهذا أدعى إلى بيان مدى " الواقعية " في هذا الدين، وأن أحكامه أحكام عملية لا نظرية. وأدعى من وجه آخر إلى الفهم والتذكر والمسارعة في التنفيذ: قال تعبارك وتعالى (يسئلونك ماذا ينفقون قل العف!!) (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من علم إلا قليلا) وهذه كلها تشير إلى تسريع الفهم في الآية حسب الوقائع التي حدثت[40].

خامسها : التدرج في التشريع، وذلك في الأمور المتمكنة من الإفراد وفي المجتمع بحيث يصعب اجتثاثها أو قلعها مرة واحدة أي إن تخلى المجتمع عن مفاسده وشروره تم بواسطة هذا التدرج، وبعمق لم يشهد التاريخ أو الواقع مثيلا.[41]

أما أول ما نزل من القرآن على الإطلاق خمس آيات من سورة العلق والأحاديث التي تؤيد هذا القول كثيرة ومنها حديث رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها وصححه الحاكم في مستدركه عن عائشة أنها قالت : أول سورة نزلت من القرآن (إقرأ بسم ربك الذي خلق).[42]

---

[39]سورة آل عمران الأية : 12

[40]عدنان محمد زرزور، *علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن*،ص: 77

[41]نفس المرجع، ص:78

[42]أبو الوفاء أحمد عبد الآخر، *المختار من علوم القرآن*، (مصر : المكتب المصري، مجهول السنة)ج.1،ص:44

وأما آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق فقد وردت أقوال كثيرة وأصحها أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى في سورة البقرة (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)[43] والدليل على ذلك ما أخرجه النسائي من طريق عكرمة أنه قال : آخر القرآ، نزولا (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس....)[44]

[43] البقرة الأية : 281

[44] أبو الوفاء أحمد عبد الآخر، *المختار من علوم القرآن*، ص: 45

الفصل الثالث

لغة القرآن

قد أنزل الله تعالى القرآن على النبي بلسان عربي مبين، ليكون هدى ومنهجا في الحياة ودستورها، قال الله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)[45]. ومن الدليل على أن كونه كتابا عربيا قول الله عز وجل (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[46] وقوله (ولو جعلنه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آيته، آعجمي وعربي)[47].

إن القرآن عربي في نظمه ولفظه وأسلوبه وتركيبه وأنه ليس فيه ما يخالف طريقة العرب في المفردات والجمل والأسلوب والخطاب.[48] والعلماء اتفقوا عليه ولكنهم اختلفوا هل فيه مفردة غير العربية. قال جمهور العلماء وعلى رأسهم القاضي أبو بكر بن طيب وشيخ المفسرين ابن جرير الطبري والباقلاني وغيرهم من العلماء حيث قالوا : إن القرآن عربي كله وليس فيه ألفاظ أو مفردات من عير كلام العرب.[49]

وقال طائف من العلماء : إن في القرآن ألفاظ غير العربية، وإن تلك الألفاظ مع قلتها لا تخرج القرآن عن كونه عربيا مبينا، ومثال ما ورد في القرآن الذي اتفق العلماؤ على كونه غير العربية هو (السجيل، القسطاس وغير ذكل).[50] وقال ابن عطية إن في القرآن لفظ أصلي غير العربية ولكن العرب يستخدمونه.

---

[45] سورة البقرة الأية: 2

[46] سورة الزخرف الأية : 3

[47] سورة الفصلت الأية : 44

[48] محمد على الصابوني،*التبيان في علوم القرآن*،ص:207

[49] نفس المرجع،ص:208

[50] نفس المرجع،ص:208

والمختار مما سبق ذكره ما ذهب إليه الطبري والجمهور هم الذين يقولون إن القرآن كله عربي. وهو ما تشهد له النصوص الكثيرة والحجج الدامغة التي احتج بها العلماء.

وقد أكد العلامة القرطبي القول الأول ورد الثاني حيث قال الأول الأصح. ومن الضروري أن يكون النبي ينطق بلسان قومه، وعلى الحد ينطق النبي صلى الله عليه وسلم يلسان العرب على اللهجة القريشية ولذك كانت لهجة القرآن هي لهجة قريشية.